

تفسير قوله تعالى: قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ

تعالى: { تَسَاءَلْتَهُمْ فُلُوبُهُمْ } ؛ فقوم نوح قالوا له: { إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } وقوم هود قالوا له: { إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ } . والسفاهة "فعالة" من السفه، وأصل السفه في لغة العرب هو الخفة والطييش؛ فكل شيء خفيف طائش تسميه العرب سفها. وتقول العرب: تسفحت الريح الريشة إذا استخفتها فطارت بها كل مطار. وهذا معنى معروف في كلام العرب، ومنه قول الشاعر: مشينا كما اهتزت رماح تسفحت أعاليها مر الرياح النواسم معنى "تسفحت أعاليها"؛ أي استخفتها فهزتها، هذا أصل معنى السفه في لغة العرب. وهو في الاصطلاح المشهور هي خفة العقل وطييش الحلم؛ بحيث يكون السفه لا يهتدي إلى مصالحه، ولا يعرف مضاره من مصالحه، لا يميز بين الضار والنافع ولا الحسن ولا القبيح؛ لخفة عقله وطييشه وعدم رجائه. ولذا كان السفه يجب التحجير عليه، وجعل ماله تحت يد ولي يحفظ له ماله؛ لأن عقله الطائش وحلمه الخفيف يجعله يضيع ماله. والعلماء مختلفون في السفه الذي يحجر به على الرجل البالغ ويولى عليه في ماله؛ فكان مالك بن أنس رحمه الله وعامة أصحابه، ومن وافقه من العلماء -يرون أن السفه الذي يحجر به على السفه في ماله، ويولى عليه غيره إنما هو السفه في خصوص المال؛ بحيث يكون طيش عقله وخفة حلمه في نفس التصرف المالي؛ بحيث يضع عليه في المعاملات، ولا يحسن حفظه ولا التصرف فيه. فمن كان عند مالك يحسن التصرف في المال وحفظه، ولا يخدع بل هو عارف بوجوه التصرفات، وحفظ المال؛ فماله يدفع إليه عند مالك وأصحابه، ولا يسمى سفها، ولو كان سكيما شربيا للخمر مرتكبا للمعاصي. وشارب الخمر إذا ما زمرا لما يلي من ماله لم يحجرا هذا مذهب مالك وأصحابه. وذهب الشافعي في جماعة من العلماء إلى أن من كان يتعاطى المعاصي كالشرب السكير الذي يشرب الخمر ويتعاطى المعاصي -أنه سفه لا يمكن من ماله أبدا حتى تصلح حاله الدينية مع حاله الدنيوية، قال: لأنه لا أحد أخف حلما وأطييش عقلا من الذي يتسبب في أن يحرق نفسه بالنار، فهذا خفيف العلم طائش العقل لا يعطى له ماله فهو السفه بمعنى الكلمة. ترى هذا كلاما معروفا في فروع المذاهب مشهورا. ولذا نسب قوم هود هودا إلى خفة العقل وطييشه قالوا: { إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ } ؛ أي في خفة عقل وطييش حلم، لأنك تدعونا إلى أن نترك ديننا ونذهب إلى دين آخر جديد ما نعرفه؛ فلا عقل عندك ولا حلم، بل أنت سفه خفيف العقل طائش الحلم، هذا قولهم، لعنهم الله. { وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ } . نظنك كاذبا، لأنك بشر مثلنا فلا زيادة لك علينا، ولا فضل لك علينا؛ لأننا من عنصر واحد، آدميون جميعا، نشرب ونأكل جميعا؛ فما نظنك إلا كاذبا، وأنتك سفه خفيف العقل طائشه.